

تفسير البحر المحيط

@ 535 % (يداك يدا مجد فكف مفيدة % .

وكفّ إذا ما ضنّ بالمال تنفق .

%) .

ويؤيد أنّ الـيدين هنا بمعنى الإنعام قرينة الإنفاق . ومن نظر في كلام العرب عرف يقيناً

أن بسط اليد وقبضها استعارة للجود والبخل ، وقد استعملت العرب ذلك حيث لا يكون قال

الشاعر : % (جاد الحمى بسط الـيدين بوابل % .

شكرت نداه تلاعه ووهاده .

%) .

وقال لبـيد : % (وغداة ريح قد وزعت ورقة % .

قد أصبحت بيد الشمال زمامها .

%) .

ويقال : بسط اليأس كفه في صدري ، واليأس معنى لا عين وقد جعل له كفاً . قال الزمخشري :

ومن لم ينظر في علم البيان عمى عن تبصر محجة الصواب في تأويل أمثال هذه الآية ، ولم

يتخلص من يد الطاعن إذا عبثت به ثم قال : (فإن قلت) : لم ثبنت اليد في بل يداه

مبسوطتان وهي مفردة في يد [مغلولة ؟ (قلت) : ليكون رد قولهم وإنكاره أبلغ وأدل على

إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه ، وذلك أن غاية ما يبذله السخي بما له من نفسه ،

وأن يعطيه بيديه جميعاً ، فبنى المجاز على ذلك انتهى . وكلامه في غاية الحسن . وقيل عن

ابن عباس : يداه نعمتاه ، فقليل : هما مجازان عن نعمة الدين ونعمة الدنيا ، أو نعمة

سلامة الأعضاء والحواس ونعمة الرزق والكفاية ، أو الظاهرة والباطنة ، أو نعمة المطر

ونعمة النبات ، وما ورد مما يوهم التجسيم كهذا . وقوله : { لِمَا خَلَقْتُ بِرِيْدَيَّ } و

{ مِمَّاءَ عَمَلَاتٍ أَيْدِيْنَا } و { يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ } و {

وَلَتُؤْمِنَنَّ عَلَى عَيْدِي } و { تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا } و { هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ }

{ ونحوها . فجمهور الأمة أنها تفسر على قوانين اللغة ومجاز الاستعارة وغير ذلك من أفانين

الكلام . .

وقال قوم منهم القاضي أبو بكر بن الطيب : هذه كلها صفات زائدة على الذات ، ثابتة

[تعالى من غير تشبيه ولا تجديد . وقال قوم منهم الشعبي ، وابن المسيب ، والثوري : نؤمن

بها ونقر كما نصت ، ولا نعين تفسيرها ، ولا يسبق النظر فيها . وهذان القولان حديث من لم

يمعن النظر في لسان العرب ، وهذه المسألة حجتها في علم أصول الدين . وقرأ عبد ا :
بسيطتان يقال : يد بسيطة مطلقة بالمعروف . في مصحف عبد ا : بسطان ، يقال : يده بسط
بالمعروف وهو على فعل كما تقول : ناقة صرح ، ومشية سجع ، ينفق كيف يشاء هذا تأكيد
للوصف بالسخاء ، وأنه لا ينفق إلا على ما تقتضيه مشيئته ، ولا موضع لقوله تنفق من الإعراب
إذ هي جملة مستأنفة ، وقال الحوفي : يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ، ويجوز أن يكون حالاً
من الضمير في مبسوطتان انتهى . ويحتاج في هذين الإعرابين إلى أن يكون الضمير العائد على
المبتدأ ، أو على ذي الحال محذوفاً التقدير : ينفق بهما . قال الحوفي : كيف سؤال عن
حال ، وهي نصب بيشاء انتهى . ولا يعقل هنا كونها سؤالاً عن حال ، بل هي في معنى الشرط
كما تقول : كيف تكون أكون ، ومفعول يشاء محذوف ، وجواب كيف محذوف يدل عليه ينفق
المتقدم ، كما يدل في قولك : أقوم إن قام زيد على جواب الشرط والتقدير : ينفق كيف يشاء
أن ينفق ينفق ، كما تقول : كيف تشاء أن أضربك أضربك ، ولا يجوز أن يعمل كيف ينفق لأن اسم
بالشرط لا يعمل فيه ما قبله إلا إن كان جاراً ، فقد يعمل في بعض أسماء الشرط . ونظير ذلك
قوله : { فَيَذَرُ سُلْطَانُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ } .